المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor 1.651
العدد الرابع والعشرون _ نيسان _ 2024

علوم القرآن وعلاقته بأصول التفسير

الطالب
طالب داود سلمان العزواي
إشراف
د.صالح معتوق

جامعة الجنان
طرابلس لبنان
كلية الاداب والعلوم الإنسانية

المقدمة :

منذ أن تنزل القرآن الكريم على نبينا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تكفل المولى عز وجل بجمعه في صدر النبي عليه الصلاة والسلام، وتكفل أيضًا بأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يفسره له ويوضحه ويبينه، فقد قال عز وجل لنبينا عليه الصلاة والسلام" لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأنه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه"، فالنبي عليه الصلاة والسلام هو أول مفسر للقرآن الكريم

والنبي عليه الصلاة والسلام قد بين للأمة كيفية التعامل مع القرآن الكريم وشرح مقاصده الكريمة إما ببيان النص أو ببيان تفاصيل الشريعة وفروعها.

وبيان القرآن الكريم ومعرفة معانيه لم يقف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، بل تعداه إلى الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أمر الله عز وجل أن يبين للناس مانزل عليه، فقد قال عز وجل " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون".

أيضًا أمرنا الله عز وجل أن نتدبر في آيات القرآن الكريم ونفهم معانيه، فقد قال عز وجل " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا وليتذكر أولوا الألباب" صدق الله العظيم، ولذلك عنى المسلمون منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام وحتى يومنا هذا بدراسة علوم القرآن الكريم وتفسيره، وستبقى تلك العناية مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

في تفسير القرآن الكريم مفتوح بشروط، وقد اجتهد الصحابة رضوان الله وباب الاجتهاد من معاني عليهم في تفسير القرآن الكريم، فقد كان رضوان الله عليهم إذا خفي عليهم معنى رجعوا إلى النبي فإذا لم يتيسر لهم ذلك فكانوا يرجعون لاجتهاداتهم، وكذلك كان يرجعون لبعضهم البعض، ومن التابعين أيضًا من اجتهدوا في تفسير آيات القرآن الكريم.

الفرق بين علوم القران واصول التفسير

لا شكَّ أنَّ اختلاف الإضافات تدلُّ على اختلاف المصطلحات، إلا إذا كان المضاف إليه له أكثر من نظير في معناه؛ كالذي سبق في مصطلح «علوم التَّنْزيل»، ومصطلح «علوم الكتاب»، وأمثالها (٢).

لكن الأمر هنا يختلف فالتفسير غير القرآن، لذا فأصول التفسير ليست هي علوم القرآن.

وإذا تأمَّلت الأمر وجدت أنَّ التفسير جزءٌ من علوم القرآن، بل هو أكبر علومه.

فالتفسير ـ الذي هو بيانُ القرآنِ وشرحُه وإيضاحُه ـ من علوم القرآن، وفي علوم القرآن غير التفسير من العلوم، وقد تكون بعض علومه مشتركة بين التفسير وعلوم القرآن، وهذا أمر معتاد، فكل ما هو من علوم التفسير، فهو من علوم القرآن قطعاً، وقد يكون إفراد هذه العلوم بعناوين مستقلة في كتب علوم القرآن مظنَّة الخلط الذي يقع بين المصطلحين؛ كعلم «غريب القرآن» الذي كتب فيه كتاباً مستقلاً جمهور من علماء اللغة المتقدمين،مساعد الطيار وشاركهم فيه كثير من المتأخرين، هو من علوم التفسير لأن التفسير لا يقوم بدونه، وهو من باب أولى من علوم القرآن أيضاً.

لكن علم (عدِّ الآي) من علوم القرآن وليس من علوم التفسير؛ لأن علم التفسير يقوم بدونه.

أما أصول التفسير فإنه أخصُّ من علوم التفسير، والمسائل التي تُدرسُ في الأصول غالباً ما تمثِّل شكل القاعدة التي يندرج تحتها أمثلة متعددة، وتكون من مبادئ هذا العلم، ويغلب عليها الجانب التطبيقي، ومن عرفها فإنه يسهل عليه ممارسة علم التفسير.

وأصول التفسير تشتمل على المبادئ والأسس التي يحتاج إليها من يريد قراءة التفسير أو من يريد التفسير؛ ليعرف بها القول الصواب من الخطأ.

ويمكن اختصار القول هنا بما يأتي:

١ - إن كانت المعلومة ـ من علوم القرآن ـ لا أثر لها في فهم المعنى، فهي من علوم القرآن وليست من علوم التفسير؛ كمعرفة فضائل سورة الإخلاص، فإنها من علوم القرآن لكن معرفتها أو جهلها لا يؤثر في فهم المعنى.

٢ - وإن كانت من المعلومات التي تؤثر في فهم المعنى؛ كمعرفة غريب الألفاظ، فهذا من علوم التفسير، ومن علوم القرآن من باب أولى.

وإن كانت المعلومة تمثِّل أصلاً أو أساساً يُرجع إليه لمعرفة التفسير من حيث الصحة والبطلان، ومن حيث توجيه أقوال المفسرين، فإنها تكون من أصول التفسير، ومن باب أولى أن تكون من علوم التفسير، فعلوم القرآن.

ومثال ذلك: أن يعرف طالب علم التفسير مصطلح السلف في النسخ؛ لأن عدم معرفة مصطلحهم تؤثر في فهم تفسيراتهم وتوجيهها إذا وردت عن أحدهم في موطن لا يصلح للنسخ كالأخبار، فإذا وردت عبارة النسخ في

تفسير واحد من السلف في خبر من الأخبار أجزم بأنه لا يريد النسخ الاصطلاحي، بل يريد التنبيه على وقوع رفعٍ لجزء من معنى الآية؛ كأن يكون بيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو بيانٍ وقوع استثناءٍ .. الخ.

ومن الأمثلة الواردة في إطلاق السلف لفظ النسخ على الخبر، ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ) في قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: ٢٢٤]، قال أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) «قد أدخل هذه الآيات بعض الناس في الناسخ والمنسوخ، حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد،قال: حدثنا محمد بن هشام، قال: حدثنا عاصم بن سليمان، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} قال: «نسختها الآية التي (١) «بعدها»؛ يعني: {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشعراء: ٢٢٧]

فقوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: ٢٢٤] خبرٌ، والخبرُ لا يُنسخ، بمعنى رفعه بالكلية، وليس هذا مراد ابن عباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ) بالنسخ هنا النسخ الكلي، وإنما مراده النسخ الجزئي، وهو تخصيص العموم الذي في قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: ٢٢٤] بالاستثناء الوارد بعده في قوله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

قد نستطيع التفريق بما يلي:

التفسير: بيان معاني آيات القرآن. (ذكره العثيمين ومناع القطان رحمهما الله).

وقد قرر هذا أيضا شيخنا مساعد الطيار في مواضع كثيرة؛

منها في شرحه على المنظومة الزمزمية:

فإنه كلما شرح نوعا من أنواع علوم القرآن، أعقبه ببيان: هل له أثر على المعنى أو لا؟

فإن كان له أثر فهو من علم التفسير وإلا فلا.

وقد تكلم هو على هذا أيضا في كتابه (مفهوم التفسير ..).

أما أصول التفسير وقواعده:

فأصول التفسير كأصول الفقه من حيثُ الوضعُ، وقواعد التفسير كقواعد الفقه أيضا من حيثُ الوضعُ.

فتُعرّف أصول التفسير بـــأنها: القواعد التي يعرف بها معاني كتاب الله.

وقولنا: (القاعدة) أي: الأمر المستمر المستقر.

وأما قواعد التفسير، فإنها تستجلب من التفسير؛ بضم النظير إلى نظيره= فتؤلف القاعدة منها.

ويفرق بين أصول التفسير وقواعده –بناءً على ذلك- بما يفرق به بين أصول الفقه وقواعده: فمن الفروق:

أن الأصول سابق على التفسير، بخلاف القواعد؛ فإنها ناتجةٌ عنه ...

أما علوم القرآن: (فهي تشمل جميع ما سبق)؛ فإنها

المسائل المتعلقة بالقرآن، سواء كان (هذا التعلق) من جهة ما يبين معناه، أو من جهة مايبين لفظه، أو من جهة أخرى.

فأما ما كان متعلقا بالقرآن من جهة ما يبين معناه: فهو بعض الأنواع كـ(الغريب)، وبعض الأنواع (يكون لها تارة أثر في المعنى وتارة لا).

وأما ما كان متعلقا بالقرآن من جهة ما يبين لفظه: فهو علم الآداء (القراءات والتجويد)؛ وقد أفردت بالتصنيف لطول مباحثها.

أما ما كان متعلقا بالقرآن لا من جهة معناه ولا من جهة لفظه: فكنوعَي الليلي والنهاري .

الخاتمة :

وفي الختام، فإنَّ علم أصول التفسير جزء من علوم التفسير، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن، والله أعلم

المراجع:

الناسخ والمنسوخ للنحاس، تحقيق الدكتور سليمان اللاحم (٢:٥٧٢).

تفسير القرآن العظيم) لمؤلفه: الحافظ ابن كثير. - (تفسير الجلالين) لمؤلفيه: السيوطي) والمحلي. - (الجامع لأحكام القرآن) لمؤلفه: محمد بن أحمد القرطبي. -

(دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية) لمؤلفه: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.